

منهجية وتقنيات البحث التاريخي 2 السداسي الرابع د. بوقارة عبد الرحمان جامعة جيجل

الدرس السابع: تصنيف المادة العلمية وتحليلها، وتركيب وصياغة الأفكار.

بعد اختيار الباحث لموضوعه، وضبط عنوانه من خلال القراءات العميقة لمختلف الدراسات القريبة لموضوعه، وبعد أن يضبط الباحث إشكالية بحثه ويضبط خطته، وبعد التعرف على المادة العلمية الخبرية، وبعد جمع المادة العلمية الخبرية، تأتي مرحلة تصنيف المادة العلمية وتركيب الأفكار كتمهيد لصياغتها.

بعد أن يقوم الباحث بتصنيف مادته الخبرية حسب نوعها مصادر، مراجع، دراسات أكاديمية، مقالات، وثائق، جرائد، يقوم بعدها بتصنيفها حسب خطة بحثه، فيقسمها على فصول البحث، ثم يقسم الفصول إلى مباحث، ثم يخصص بطاقات لكل مطلب وهو ما يسهل عملية القراءة الشاملة للمطلب ويسهل نقد مصادره وتحقيقها وصياغة أفكاره.

لكي يستفيد الباحث من هذه المصادر لابد أن يجري عليها عمليتين هما النقد الخارجي والنقد الداخلي، والنقد أساس الحذر والشك في معلومات الأصل التاريخي ثم دراسته وفهمه واستخلاص الحقائق من ثناياه، والنقد عملية ضرورية لأنه يؤدي إلى الاقتراب من الحقيقة التاريخية، من خلال كشف التحيز أو الهوى فالإنسان يميل إلى تصديق ما يجد له هوى في نفسه، هناك من يقوم بتزييف الحقائق بهدف الوصول إلى مآرب معينة.

1. **نقد الوثيقة:** تنطلق الدراسة التاريخية من الوثيقة، باعتبارها المصدر الأساسي الذي يعد وعاء حاملا للمعلومة في سياقها الزمني مفصولا عن تدخل الفاعلين فيها من خلال الانطباعات والقراءات اللاحقة التي يطغى عليها عنصر الزمن، من خلال إعادة البناء بواسطة التأسيس لصياغة جديدة للسياق حسب وجهات النظر المختلفة، فالوثيقة وعاء معلوماتي يزودنا بمعلومات دقيقة وواضحة عن جوانب متعددة، ومن هذا المنطلق وجب الاهتمام بالوثائق الوثائق والعناية بها بالحفظ والصيانة الدورية مرتبط ارتباطا وثيقا ب "الحس الوطني"، فهي ذاكرة الأمة في مختلف مجالات حياتها، حيث تتنوع الوثائق بين:

- الوثائق الأرشيفية: تُجمل الوثائق الأرشيفية في مجموعة الأوراق والسجلات المطبوعة وغير المطبوعة الناتجة عن الأعمال اليومية في الدوائر الحكومية مثل: "مرسوم، قرار، ،

منهجية وتقنيات البحث التاريخي 2 السداسي الرابع د. بوقارة عبد الرحمان جامعة جيجل

قانون، لائحة، اتفاقية، عقود، وما شابهها" والمؤسسات العامة والخاصة، والأفراد، التي تقرر حفظها لأهميتها السياسية، أو القانونية، أو الإدارية، أو الثقافية، أو الاقتصادية، أو غير ذلك.

- قد تكون صورة فوتوغرافية، أو قد تكون خريطة ما، ولا تقتصر على الأعمال الحكومية بل قد تكون وثائق لجمعيات أو لأشخاص أو لهيئات غير حكومية وبالتالي فإن هذا النوع من الوثائق يطلق على الوثائق المكتوبة الرسمية، وشبه الرسمية، وتحتوي على ما يسمى العمل النظامي للجهات الحكومية أو شبه الحكومية؛ كما تشمل تحديد واقعة معينة مثل: الزواج، والبيع، وال ميلاد، والوفاة، وصكوك الملكية.

- قد تكون أيضا وثائق الدبلوماسية: هي من مختلف أنواع الوثائق التاريخية التي يثار حول صحتها الجدل والاعتراضات، ويعود لها الفضل في سبب تأسيس علم الديبلوماسية "علم تحقيق الوثائق"، وهو العلم الذي يتحقق من صحة الوثيقة وعدم تعرضها للتدليس من خلال العنصرين المكونين للوثيقة، وهما: الشكل: عن طريق تمحيص ودراسة المكون المادي للوثيقة، ويشمل: وعاءها، ونوعية الخط والحبر، والتوقيعات، والأختام، كما يشمل البسطة، والتعريف بالفاعل القانوني، والمخاطب، والتحية، والتاريخ، والأرقام الواردة، الخ.

المحتوى: عن طريق تفحص لغة الوثيقة، وصياغتها، وما تحتويه من وقائع، بالمقارنة والمقاربة بينها وبين وثائق أخرى مجالية لها.

2. نقد الأصول التاريخية (المصادر) وإثبات صحتها: ويتحقق ذلك من خلال الخطوات المنهجية التالية:

- التأكد من صحتها وصحة نسبتها إلى صاحبها، وذلك بدراسة نوع الخط والورق المستخدمين في تحريرها، ومعرفة المكان والزمان الذي دُونت فيه، إذ وجب البحث في الأصول التاريخية المخطوطة أو المطبوعة، وهذه الأصول قد تكون بخط المؤلف أو بخط غيره، أو نسخة منقولة من نسخة المؤلف الخطية، أو تكون قد طبعت وحدث فيها تحريف بقصد أو بغير قصد مثل الأخطاء المطبعية التي ليس للمؤلف مسؤولية حيث لم يتمكن من

منهجية وتقنيات البحث التاريخي 2 السداسي الرابع د. بوقارة عبد الرحمان جامعة جيجل
تصحيحها. كما تواجهنا حالات تكون الأصول التاريخية قد ضاعت ولم يبق منها سوى
الصور، فنقوم بدراسة نوع الحبر والورق، خط المؤلف ولغته ومعلوماته، وعند نشر هذا الأصل
المخطوط يستحسن إبقاء الأصل كما هو بحروفه وألفاظه وأخطائه بغير تعديل، في النص أما
التصويب فيوقع في الحاشية.

وفي حال كانت هناك نسخة واحدة منقولة عن الأصل، وهنا لابد من الحذر والدقة في
قبول هذه النسخة لوجود الأخطاء المحتملة التالية: إسقاط ألفاظ أو جمل عند النقل نتيجة سهو
أو خطأ، أو لعدم وضوح المعنى، الخطأ في قراءة بعض الألفاظ، الخطأ نتيجة السماع إذا ما
أُملي النص على الناسخ.

- معرفة عمر الوثيقة والزمن الذي تعود إليه: لجأ الباحثين في مجال التاريخ والآثار إذا
ما حدث وأن صادفوا العثور على مصدر تاريخي، وذلك باستخدام التحليل الكيميائي،
والكربون 14

- نوع الورق والحبر المستخدمين في الكتابة: يختلف نوع الورق المستخدم في الكتابة من
منطقة لأخرى، ومن زمن إلى زمن، ولا بد أن مواد الكتابة في القديم كانت تنحصر في
الألواح الطينية وجلود الحيوانات وورق البردي، ولهذا فإنه من غير المعقول

وبعد التأكد من صحة الوثيقة ونسبتها إلى صاحبها لا بد على الباحث أن ينتقل إلى المرحلة
المالية والتي تتمثل في نقد مضمون الوثيقة وهي **مرحلة التحليل الظاهري**، وهذه المرحلة لا
تقل في أهميتها عن الدراسة في المرحلة السابقة إذ يهتم فيها الدارس أو الباحث بالدراسة
الخارجية للوثيقة وذلك محاولة منه للكشف عن فترة كتابة الحادثة أو الوثيقة وكذلك تحقيق
صورتها الأصلية على وجه التحديد، كما يُقدّم فيها تعريفا بالنص وبصاحبه وبالسباق التاريخي
له ونشرح المصطلحات المفتاحية ونحدد الفكرة العامة، وطبيعة النص نوعه، وهنا نحاول أن
نحدد في فقرة مركزة إلى أي نوع ينتمي النص الم ا رد تحليله، فقد يكون عبارة عن مراسلة،
أو معاهدة رسمية سياسية أو اقتصادية، أو عقدا من العقود، ثم تأتي خطوة التعريف بالكاتب

منهجية وتقنيات البحث التاريخي 2 السداسي الرابع د. بوقارة عبد الرحمان جامعة جيجل
أو صاحب النص ومعرفة الغرض من كتابته وميوله الفكري والسياسي، ...، ثم نقوم شرح
المصطلحات المفتاحية والأعلام والأماكن والبلدان، ثم تعيينا لفكرة العامة والأفكار الأساسية.

بعد التحقيق والنقد الظاهري للوثيقة ننقل إلى الدراسة أو التحليل الباطني (النقد الباطني):

يستطيع الباحث باستخدام النقد الباطني الوصول إلى معرفة الآراء التي دونها مؤلف الأصل
التاريخي، ويتعرف إلى تصوره للوقائع التاريخية، ولكنه يجب أن يواصل عملية النقد ذلك أن
إثبات الحقيقة التاريخية علميا لا يمكن أن يتم عن طريق شهود العيان فقط، فلا بد أن يتوفر
لدى الباحث في التاريخ الأدلة التي تثبت صحة تلك الحقيقة، كما أن الباحث في هذه المرحلة
عليه أن يحلل التفاصيل والجزئيات الواحدة بعد الأخرى، وحتى تتم عملية النقد الباطني يجب
أن نفرق بين أمرين وهما التثبت من صدق المؤلف وعدالته وهل كذب أم لم يكذب؟ التثبت من
صدق المعلومات التي أوردها ومبلغ دقتها، وهل أخطأ المؤلف وهل خُذع بشأنها أم لم يخطأ
ولم يخدع.

والنقد قد يكون نقدا سلبيا، وقد يكون إيجابيا، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالتأكد من ذلك
بدراسة مؤلفات أخرى لمؤلف الأصل، والتأكد من الحكم على عقليته، وتقويم طريقته، ومقارنتها
بمؤلفات أخرى في نفس وضوعه.

وإذا كان النقد الإيجابي فنشرح النص: هذه الخطوة تعتمد أساسا على ما أنجزناه في المرحلة
الوصفية، فنعيد تقديم النص بأسلوب الطالب، وتشرح الأفكار الواردة فيه من خلال الاستدلال
لها، أو الإشارة إلى مصادرها الأصلية إن كانت ليست أصلية، ووضعه في سياقه الزمني
الأصلي للحادثة، والإشارة إلى من تحدث في الموضوع من المؤرخين ممن يمكن أن يكون
مصدرا لصاحب النص، ومحاولة تبيان الهدف من الصياغة المعتمدة وطريقة التدوين.

وفي الأخير نبرز الأهمية التاريخية للنص: هذه الخطوة كأنها الخلاصة التي تم الخروج
بها من مرحلة التعليق والنقد، وهنا ينبغي عدم تكرار نفس الجمل، ولكن إعادة صياغتها بما
يجعلها تقدم الخلاصة التقييمية العامة للنص، فقد يكون النص بذلك مجرد تكرار ولم يأت بأي
جديد، وقد يكون بالغ الأهمية لتفرده بمعلومات لا نجدها في غيره.

منهجية وتقنيات البحث التاريخي 2 السداسي الرابع د. بوقارة عبد الرحمان جامعة جيجل

مراجع حول الدرس:

- 1- مبروك بن عيسى: مناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار الخلدونية، القبة، الجزائر، 2019.
- 2- حيدر كامل: منهجية البحث الأثري والتاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت لبنان، 1995.
- 3- حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ط. 2، دار المعارف، القاهرة، 1964.
- 4- فاطمة عوض صابر، ميرفت علي خفاجة: أسس ومبادئ البحث العلمي، ط. 1، مطبعة شعاع الفنية، مصر، 2002.
- 5- فهيمة سعودي: "الكتابة التاريخية الغربية المدرسة الوضعية والحولية نموذجاً"، مجلة الفكر، المجلد السادس، ع. 1، الجزائر، جوان 2022.
- 6- ناصر الدين سعيدي: أساسيات منهجية التاريخ، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000
- 7- بلال عمرو: محاضرات في منهجية البحث التاريخي، جامعة البليدة 2، 2024/2023